المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:06، العدد:02(2022)، ص665-687

نحو مدرسة تاريخية وطنية مكينة

Towards a strong notional historical school

عبد القادر بوعقادة
جامعة البليدة 02 (الجزائر)
bouagada_aek@yahoo.fr

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/11/07
تاريخ القبول:
2022/11/21

الكلمات المفتاحية:
- ✓ المدرسة التاريخية
- ✓ التاريخ الوطني
- ✓ الجزائر
- ✓ الجامعة

الملخص:

يأتي هذا المقال ليتحدث عن الكتابة التاريخية بلادنا من حيث نشأتها ومساراتها ومآلاتها، والمصاعب التي تكابدها، في ظل صيحات تنادي بضرورة العناية بتاريخ بلادنا، والارتقاء بالكتابة التاريخية، وتأسيس مدرسة تاريخية متميزة وأصيلة، حتى لا نترك تاريخنا تحت رحمة أقلام أجنبية عابثة بأحداثه، ومحرفة لحقائقه ومستعملة إياه لضرب الوحدة والرموز وتقزيم البطولات. وحيث أنّ التاريخ عامل مهم في تكوين وصيانة الهوية، وأن الجهود لاتزال قائمة من أجل مدرسة تاريخية جادة أردنا المساهمة بهذا المقال لنبين جهود المؤرخين الجزائريين في تكوين وبعث مدرسة تاريخية وطنية، وسبل إقامتها وشروط بقائها وتأثيرها، طارحين إشكالية وحتمية إقامة المدرسة التاريخية، وكيفية بعثها وملامح تشكيلها.

Article info

Received:
07/11/2022
Accepted:
21/11/2022

Key words:
- ✓ The historical school
- ✓ Algerian historians
- ✓ Algeria
- ✓ University

Abstract:

Enter This article come to talk about the historical writing in our country in term of its development pothouse and outcome, and the constraints facing it, under trends of parties calling for the necessity of taking care of the history in our country, promoting historical writing and setting up an outstanding and authentic historical school, so as not to leave our history at the mercy foreign pens might with events, distort its fact and use it to strike our country's unity and its symbols .Since history is an important factor in the formation and maintenance of identity and efforts are style in place for a serious historical school, we have wanted to participate with this article to shed .Light on the Algerian historians efforts to found a national historical school alongside with ways to launch it, conditions for its survival and its influence.

مقدمة

إنّ ممارسة الكتابة التاريخية والعناية بهذا الفن ببلادنا قديمة تليدة، فهي لا تعود إلى فترة ما بعد الاستقلال مباشرة، بل تطرح نفسها قبل ذلك بكثير، وحيث أنّ الممارسات الاستعمارية كانت تهيمن على الواقع الثقافي العلمي كبقية المجالات، فإنّ موضوع الكتابة التاريخية لم يكن ليتناوله الجزائري الأهلي بالشّكل الذي يزعج الاحتلال، وإنّما كانت الهيمنة للدراسات والكتابات الكولونيالية، ممّا جعل الأقلام الأهلية الجزائرية مضمرة، ولا تظهر الممارسة للتاريخ إلاّ على مستوى بسيط لا يؤثر، وبواسطة المشافهة لدى فئة العامة أكثر منه على مستوى النخبة التي كانت مضطهدة مغيبة، وفي فترات كانت متلاشية أو مهاجرة بفعل السياسة الكولونيالية الفرنسية.

إلاّ أنه بعد الفترة الاستعمارية بدأت الأقلام التاريخية تتبري للتدوين فيه، وظهر جليا عناية النخبة الجزائرية بهذا الشأن، سواء على المستوى الرسمي أو على مستوى الهواية والعنفوان التأليفي الفردي. كما تطورت الكتابة والعناية بالتاريخ لأسباب متعددة، فلفت ذلك انتباه الملاحظين والمهتمين بالشأن التاريخي الجزائري. وصار البعض يلحّ على ضرورة تأسيس مدرسة تاريخية جزائرية وطنية، لها معالمها وتوجهها وفلسفتها في التعاطي مع الأحداث والتاريخ عموما.

لقد أصرّ هؤلاء على حتمية قيام مدرسة بالنظر لما تتوافر عليه من أقلام، وما يوجد في رصيد البلد من أحداث، وما يمكن الاستناد عليه والاستفادة منه من مناهج حديثة تؤدي الغرض التأريخي، طارحين أسئلة تحوم حول إشكالية: **هل فكرنا في إقامة مدرسة تاريخية لها خصوصيتها؟ أو هل يحق لنا أن نجزم بوجود مدرسة تاريخية وطنية بعد ستين سنة من التعاطي مع التاريخ؟ وإلاّ كيف يمكن لنا أن نجسد هذا الهمّ العلمي وآليات ذلك وطرقه؟**

1. نداءات في سبيل إقامة المدرسة

كان حلم إقامة مدرسة تاريخية وطنية اهتمام كثير من الخائضين في الشأن التاريخي الوطني، وقد تعالت صيحات علمية جديرة بالنقاش في هذا الاتجاه. حاولت أن أنتقي بعض النماذج لهذا النداء – ليس على سبيل الحصر وإنّما لإظهار قيمة المطلب لبعض المهتمين بالتاريخ والأرشيف على مختلف اختصاصاتهم منذ سنوات خلت إلى يومنا هذا، ونذكر منهم:

1.1.د: جمال قنان (التعليق رقم 01)

وهو المتخصص في التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر وفي تاريخ المقاومة والثورة، وباعتباره مجاهدا مساهما بصفة مباشرة في صناعة التاريخ الوطني حدثا وكتابته، وفي تكوين النخبة الأولى التي تعمل الآن على تجسيد رؤيته ومشروعه، وربما كانت توجهاته السياسية سابقا عائقا في سبيل انتشار ندائه فيما يخص المدرسة، ومع هذا فهو الرائد الأول لتجسيد الرؤية (بن سالم ص.، الدكتور الراحل جمال قنان... مسيرة مجاهد ومؤرخ، 2021).

2.1.كما لا يزال الدكتور محمد العربي الزبيري (التعليق رقم 02)

يقدم رؤية خاصة في هذا الشأن، إذ هو من بين المتحمسين لتأسيسها، يسعى – باعتباره متخصصا وفاعلا في التاريخ الوطني المعاصر– إلى تجسيد الرؤية والمشروع، فلا يترك سانحة إلاّ وقدم طرحه وإلحاحه، وصدع بصوته في سبيل إقامة هذا التوجه، وقد دوّن صرخته ضمن مقالات وكتب كان أهمها مقاله في مجلة "**الأبحاث التاريخية**" الصادرة بجامعة المسيلة، وهو يقسم الموقف من المدرسة الوطنية إلى ثلاث اتجاهات يمكن اختصارها في التالي: (الزبيري م، 2018، ص ص 08– 38).

– اتجاه مجموعة من الباحثين – نتاج المدرسة الاستدمارية– الذين يدركون معقولية قيامها، ولكنهم غير مستعدين لقبول نتائجها.

– **الصنف الثاني:** وهم بقايا الأهالي الجزائريين الذين عشش في ذهنهم الفكر الاستعماري، فلا يستطيعون حتى التفكير في مدرسة خارج أطر الهيمنة الاستعمارية. وهؤلاء هم اليوم الذين يسيطرون على مناصب الحل والربط. ويسيطرون على مفاتيح الفهم والكتابة في الميدان

– **الصنف الثالث:** وهم من صنف المتعلمين الوطنيين والذي قسمهم – الدكتور– إلى قسمين، أولهما لم يفقه رسالة التاريخ، ولم يفقه الدور التاريخي لمهمته ووظيفته، وثانيهما الأقل عددا هو يسعى لتكوين رؤية وطنية بعيدة عن التأثير الاستدماري والاستلاب الحضاري.

3.1.وهناك مجموعة أخرى تمثل الموقف الرسمي من التاريخ يمثلهم حاليا الاستاذ عبد المجيد شيخي (التعليق رقم 03)

باعتباره المشرف على الأرشيف الوطني العام، والمكلف حاليا بملف الذاكرة الوطنية رسميا، وهو الذي يجسد توجه السلطة وسعيها في سبيل تحقيق الغرض. وإذا نعتقد أنّ تخصصه الحقوقي قد يجعله يتقمص صفة المدافع عن الأرشيف والمحامي لجلب الأرشيف من الخارج، إلاّ أن ثلة غير قليلة من الباحثين في هذا الشأن يرون القصور في ذلك، وعدم الكفاية لتحقيق المبتغى، مع احتفاظهم باحترام رأي المؤسسات الرسمية التي اتجهت إلى هذا الخيار، رغم توفر البدائل المكينة في هذا الشأن.

4.1. إنشاء مدرسة وطنية للتاريخ

وهناك عدد لا يقل عنهم حماسة المنادون بضرورة إنشاء مدرسة وطنية للتاريخ تحمل هذا الهمّ لقيمته ودوره في الحفاظ على التراث والموروث والذاكرة، ولحمايته وإعادة بعثة بما يخدم العلم والصالح العام... ولاعتقادهم بأنّ تحقيق التميز وإعطاء هوية للتوجه التاريخي بما يخدم التاريخ أولا والعلوم ثانيا، وبما يجسد قيمة التاريخ في الارتقاء بالواقع العام ثالثا. وغالب هؤلاء من الباحثين المتأخرين المنتشرين عبر ربوع جامعات الوطن الذين يكتبون باستمرار وبدافع الرغبة العلمية في تجسيد نظرة وطنية وعلمية دقيقة في هذا الشأن (التعليق رقم 04) ولعلّ العمل الذي يقدمه الأستاذين عبدالعزيز فيلالي وبوبة مجاني في قسنطينة وتلامذتهما، وعبدالقادر بوباية ومخبره في وهران وإبراهيم بحاز وزملائه في غرداية، ويضاف إليهم اجتهادات أساتذة جامعة

أدرار، لهو عمل جدير يسهم في هذا الاتجاه، مع عدم غمط حق بعض الأساتذة أمثال لخضر بولطيف الذي يجتهد في إرساء معالم المدرسة القيمية التاريخية منذ مدة (التعليق رقم 05)، وكلّها تجارب تصب في إطار الهدف العام الّذي نادى لأجله السابقون ويسعى لتجسيده اللاحقون.

وإذ نشارك الدكتور الزبيري في الخلاصة التي وصل إليها، والقائل فيها بحتمية وضرورة إقامة مدرسة تاريخية وطنية للارتقاء بالكتابة التاريخية، والتخلص من النظرة الاستدمارية وهيمنة مدرستها على الرؤية التاريخية (الزبيري م.، 2018، صفحة 10) فإنّ طرق التأسيس وآلية التنفيذ تظل محل نقاش بين من يريد فرضها من الأعلى ومن يسعى لتجسيدها من الأسفل.

2. نظرات في آلية التأسيس

إنّ البحث عن كيفية إقامة هذه المدرسة والتوجه نراها تطرح وفق نظرتين "**بين ولادة طبيعية وولادة قصرية...؟**" حيث يتأرجح هذا بين المنادين بإقامة مدرسة تاريخية لها معالمها وتوجهها وفكرها وفق قرار رسمي أو قرارا تنفيذيا، كأن يقرّر الأعلون فيجتمع الناس ويضعوا المعالم والتوجه بالتشاور مثلا، وهو قرار فوقي غالبا ما كانت نهاياته في غير صالح الأهداف العلمية البحتة. وربما كانت نهايته يوم ولادته، لأنّ الأمر سيوسد لغير أهله وبدل أن تحضر الكفاءة والكفاية يحضر الولاء والارتجالية في تحقيق المطلوب.

وفريق ثاني يسعى إلى أخذ تجربة الآخر ومحاولة محاكاتها وفرضها واتباع نهجها، دون النظر إلى الخصوصية والمحلية والمعطيات، ولا يتوانى في الأخذ بمناهج الآخرين باعتبارها مناهج علمية متاحة للجميع ولكن هذه التجربة على جدّتها ومعقوليتها، وربما حتميتها في المراحل الأولى، إلاّ أنّه تمّ تجاوزها بعد ستين عاما من البحث، بالنظر إلى زخم الكتابة التاريخية التي وصل إليها رواد وأبناء المدرسة الوطنية، حينما حاكوا وتأثروا سالفا بالمدرسة المصرية – درسا وتكوينا وكتابة – وفي نفس الوقت أخذوا عن المدارس التاريخية الأوروبية العديدة في مناهجها وتحليلاتها (عمارة، 2013) ونرى بأنّ هذا الخيار قد تمّ تجاوزه اليوم بوجود أقلام وطنية جادة يمكن أن تقود سفينة البحث برؤى ناضجة وفاعلة في ساحة البحث المحلي والإقليمي.

وراء هذا الاتجاه الأخير تطرح الرؤية الثالثة مسارا آخر لتشكيل المدرسة، حيث يقع ذلك على كاهل الباحثين وهو يتم تلقائيا بفعل تكاتف عدة عوامل منها زخم الأبحاث وتراكم الأعمال، واستطالة الوقت والزمان، والتعمق في الأبحاث وتدقيقها، والاستفادة من نتائج السابقين، مع طرح مصطلحات ومفاهيم جديد تجاه الأحداث التاريخية بما يميّز الباحث عن الآخر. لقد بات يقينا وجود أقلام يمكن بواسطتها تحديد المسارات الأولية للمدرسة الوطنية بناءً على تجربة المؤرخين الأوائل، والذي برزوا بالأخص مع بزوغ شمس الاستقلال والحرية.

نعتقد أنّه لا يمكن أن نؤسس للمدرسة بقرار ارتجالي موجه، باعتبار أنّ المسألة مرتبطة بالعلم والتراكم الذي يقتضي الزمن؟ كما لا يمكن أن نهمل جهد التعاطي مع التاريخ من قبل من سبقنا في هذا الشأن، مع وفرة عددهم وقوة طرحهم؟ مع يقيننا – أيضا – بأنّ بناء المدرسة التاريخية يقع لوحده تلقائيا بناء على شيء موجود

وليس من العدم، أو تراكم ليؤسس قاعدة انطلاق... لكن يمكن أن نضع سبلا لقيامها وطرقا لفرضها ووسائلا للتسريع بإبانتها، فتنظيم الشيء الموجود فيه من القدر ما يفي بذلك، ويضع معالم طريق تختزل الوصول إلى الهدف، وفي نفس الوقت تثمين جهود كل الباحثين في هذا الإطار.

3. جذور مدرسة التاريخ الجزائرية

تضرب التجربة التاريخية الوطنية في عمق التاريخ منذ العصور الأولى، حيث أن العناية بالكتابة التاريخية ببلادنا تبدأ منذ الزمن الأول للعصر الوسيط لتمتد إلى يومنا، محافظة على سمتها وتوجهها وهويتها، وإنّ رصد التآليف والمصنفات في هذا الشأن تظهر هذه العناية بشكل جلي. ولا يمكن الذهاب بعيدا حينما نشير إلى العمل المميز لابن الصغير المالكي التهرتي، وهو يكتب عن "**سير الأئمة الرستميين**"، كمصدر سايرهم وعاش زمنهم ليعضده الورجلاني والدرجيني والوسياني من خلال تراجمهم وطبقاتهم (التعليق رقم 06).

وتأتي الفترة المتأخرة من العصر الوسيط ليبرز مؤرخون يجمعون بين العلوم الشرعية والتاريخ، ويقدموا إنجازات قيمة في مجال التاريخ ومنهم أبو العباس الغبريني الذي كتب عن علماء بجاية في القرن السابع سماه "**عنوان الدراية**"، وابن قنفذ القسنطيني الذي ألف في "**الوفيات**" و"**أنس الفقير**". وأبو العباس أحمد بن عبد الله قاسم البوني صاحب "**الدرة المصونة في أعلام وصلحاء بونة**". دون أن نهمل الدور الذي قام به الأخوين عبد الرحمن ويحيى ابني خلدون، والذين كتبا في عمق التاريخ، حيث بقيت كتاباتهما ذخيرة مهمة في التأريخ للأحداث والعلوم وبات عبد الرحمن مرجعا مهما بعدما أسس مقدمته الرائعة في مغارة قرب بني سلامة بحاضرة تهرت.

وتتعدد المصنفات التي تؤسس لمنحى التاريخ من خلال علماء من حواضر المغرب الأوسط أمثال المقري صاحب "**نفح الطيب**" وهو سليل أسرة المقريين البارعين في تلمسان والأندلس وفاس وحواضر بلاد المغرب أو المازوني الذي كتب عن "**صلحاء وادي شلف**"، ولو أن كتابه حول ظاهرة الأولياء، لكن تأريخه لبعض شخصيات المغرب الأوسط يدخل ضمن التأليف التاريخي التراجمي الذي يقدم لمحة مهمة عن تاريخ الشخصيات المؤثرة، ولكن العودة إلى محمد بن مريم التلمساني وكتابة "**البستان في ذكر الأولياء والعلماء تلمسان**" وغيرهم من علماء العصر الوسيط سيقدم نظرة فاحصة عن العناية الفائقة التي أولاها مؤرخو المغرب الأوسط في تتبع الظاهرة التاريخية من المنطلق إلى المنتهى. ناهيك عمّا كتب عن رجالات بلاد المغرب الأوسط "**الجزائر**" من قبل غيرهم أمثال الأندلسيين الوافدين كابن صعد والتنبكتيين الجادين كأحمد بابا في "**النيل**" و"**الكفاية**"، حيث قدم هذا الأخير تراجما تاريخية وافية لعلماء تلمسان وبقية الحواضر بالمغرب الأوسط، مما يجعل كتابيه– وبالأخص نيل الابتهاج – عملا مميّزا يختص بعلماء بلادنا وتراجم صلحائها وأوليائها.

1.3. تتابع الكتابة بعد العصر الوسيط

استمرت العناية بالكتابة التاريخية بالجزائر في الفترة الحديثة والمعاصرة ولم تنقطع رغم الظروف القاهرة التي تقف في وجه كل ابداع، وهي الفترة المتميزة بالهيمنة الكولونيالية التي فرضت رؤياها التاريخية ومنهجها

الانتقائي للأحداث ، فقد برز في بدايات الاحتلال حمدان بن عثمان خوجة وهو يؤلّف كتابه المشهور "**المرآة**" الذي هو في الأصل تقرير مفصّل قدّمه للبرلمان الفرنسي سنة 1833م، دفاعا عن وطنه الجريح، وقدم محمد الصالح بن العنتري تفصيلا عن وضعية حرجة لمدينة قسنطينة وما حولها، حين تحدث عن تاريخ قسنطينة ومجاعاتها "**مجاعات قسنطينة**" (1876م)، وكان أحمد بن المبارك بن العطار (1790-1870م) قد كتب في "**تاريخ حاضرة قسنطينة**" فأبان عن واقعها وأحوالها. ثم جاء الحفناوي فترجم لرجال الجزائر من خلال كتابه الشهير "**تعريف الخلف برجال السلف**" وهو عبار عن تراجم لأهم الرجال والأعلام المشاهير في زمانه وقبل ذلك، ولا تزال هذه المصنفات تأخذ من اهتمامات الباحثين وتعضد أبحاثهم ودراساتهم، على أنّها مصادر ذات قيمة بالغة، وتؤسس لعمل تاريخي قاعدي متين يمكن اعتماده في بناء مدرسة لها خصوصيتها.

وفي مطلع القرن العشرين تبرز أهم شخصية جزائرية مهتمة بالكتابة التاريخية وبطريقة شبه أكاديمية، عملت إلى جانب أعمدة المدرسة الفرنسية، وأسهمت في بعث التراث الدفين، وهو العلامة محمد بن أبي شنب الذي كتب حول مآثر الجزائريين وبلغات غير العربية، باعتباره يحسن عددا من اللغات، وحقق العديد من المدونات التي كانت في طي النسيان على شكل مخطوطات، مستغلا تعامله مع المؤرخين والمستشرقين الفرنسيين. وكان من أهم ما حققه من المخطوطات كتاب "**البستان في ذكر أولياء وعلماء تلمسان**" لابن مريم ونشره سنة 1908 وكتاب "**عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة ببجاية**"، ويتحدث فيه عن علماء بجاية ونشره سنة 1910 بالإضافة إلى مجموعة كتب في الآداب والاشعار والأمثال والمعاجم والأسامي، وقد توفي سنة 1929 ونعتقد أنّ هذه الشخصية التاريخية لم توف حقها من الدراسة، رغم عدد الملتقيات والندوات والمقالات التي نسجت حولها، باعتبارها شخصية محورية في الكتابة التاريخية الجزائرية، والتي لا تزال تأثيراتها إلى يومنا.

4. تأسيس المدرسة التاريخية الوطنية

يحق لنا أن نجزم بوضع حجر التأسيس للمدرسة التاريخية الجزائرية مع بدايات العقد الثاني من القرن العشرين. فبعد قرابة قرن من الاحتلال الفرنسي لبلادنا، ومحاولاتها الجادة التي مارسها لطمس الهوية، وضرب الشخصية الجزائرية، إنبرى عدد من النخبة الأصيلة لبعث الأمة ومقوماتها، من خلال إعادة كتابة تاريخها ومآثرها. ولا شك أنّ العناية بالتاريخ تعدّ حجر الأساس والمنطلق الرصين في توعية المجتمعات، والحرص على معرفة مقومات الأمة، ومن هنا كان جهد بعض النخبة المحافظة ينطلق لهذا الغرض. وستشهد الفترة الممتدة من عام 1922 إلى غاية استرجاع السيادة الوطنية 1962 تحقيق هذا الأمل. ولا عجب أن نقول بأنّ تأليف أبي يعلى الزواوي (التعليق رقم07) لكتابه "**تاريخ زواوة**" بدمشق في حدود عام 1920 يدخل في هذا الإطار ويحقق سلسلة الترابط بين ما ألفه الحفناوي وما حققه ابن أبي شنب، وما سيقوم به مؤرخو جمعية العلماء الثلاث (التعليق رقم 08) فيما بعد بقليل.

يأتي بعد العلامة الزواوي مؤرخون شكلوا بحق اِنطلاق المدرسة التاريخية الوطنية بحكم الظرف والمهمة التي تكلفوا بها في هذه الفترة. حاملين شعار "**تحرير الأذهان مقدم على تحرير الأوطان**"، وهو شعار العلماء الجزائريين الذي أيقنوا أن انبعاث الأمة لا تكون إلاّ بعد تسطير تاريخها ومفاخر رجالاتها، فكان منهم العديدون ممن يذكرهم الناس دوما، وعدد غير قليل ممن غابت أسماؤهم على أذهان العامة، ونشير- إلى هذا الصنف الأخير- إلى من يمثلهم بالتحديد وهو "**محمد الشريف ساحلي**" (صادوق وبوكرديمي، 2022، ص ص 30-38) الرجل الديبلوماسي المؤرخ الذي كتب عن يوغرطة وعن الأمير عبدالقادر فارس العقيدة، و"**الجزائر تندد**" و"**المؤامرة ضد الشعوب الإفريقية**" وبالإضافة إلى كتابات ثلاث من علماء الجمعية البارزين وهم:

- **مبارك بن محمد الميلي** 1896-1954م وتأليفه "**تاريخ الجزائر في القديم والحديث**"، وهو كتاب بقدر ما أبان عن عمق اطلاع مؤلفه، وتفانيه في تقديم تاريخ أمة في أبهى صورة وبأحسن عبارات وأسهل لغة وسلاسة أسلوب فإنّه جاء في وقت مناسب كانت فرنسا قد احتفلت بمائة سنة على غزوها للجزائر، وفخرها "**بدفن الهلال وإعلاء الصليب**" حسب تصريحات وخطابات منظري سياستها، فكان الكتاب كما قال شيخ جمعية العلماء "**قد أحييت أمة... وأيقظتها من سباتها**" (التعليق رقم 09)، يؤرخ بالفعل لتاريخ عريق منذ القديم إلى العهد الإسلامي إلى ما بعده. لقد بقيت كتابات الميلي حاضرة في كل مؤلف عن تاريخ الوطن الجزائري، ومنطلقا لكل محاضر وكاتب، وبيان لكل من أراد معرفة تاريخ المنطقة، وضاهى به العديد من الكتابات المشرقية التي كتبت عن الجزائر.

- **أحمد توفيق المدني** (1899-1983م) (التعليق رقم 10) برز من خلال مصنفاته العديدة على أنه رائد الكتابة التاريخية، فله العديد من المؤلفات منذ 1922، نذكر أهمها: كتاب تقويم المنصور...في أزيد من 300 صفحة وبه ازيد من 13 بابا، وأعاد طبعه والمزيد فيه سنة 1923 ثم 1924 وفيه "**ترجمة لأسد بن الفرات**"... وكتاب حول "**قرطاجة أو تاريخ شمال أفريقيا**".. وكتاب "**محمد عثمان باشا**" وكتاب "**هذه هي الجزائر**" وكتاب "**حرب 300 سنة**".

- **الشيخ عبد الرحمن الجيلالي** (1908- 2010م) الّذي تألق اسمه من خلال موسوعته "**تاريخ الجزائر العام**" وهي كتابات جاءت ردا عن التأريخ الكولونيالي والاستشراق الأوروبي في شأن "**تاريخ شمال إفريقيا**" والذي سماه البعض بـ "**تاريخ القرون المظلمة**" (التعليق رقم 11).

كان منهج هذه النماذج من الكتابات في هذه الفترة ينبع من الغرض الذي كتبوا لأجله، وهو إعادة بناء الشخصية الجزائرية وفق منظور وطني له بعده العقدي، وتصحيح النظرة للتاريخ الجزائري والإفريقي التي شوهتها الكتابات الكولونيالية الهادفة، ودحض الشبهات والأباطيل التي تضرب في صميم وحدة المجمع الجزائري. ويمكن اعتبار هذه المرحلة من الكتابة التاريخية بمثابة مرحلة تأسيس للمدرسة الوطنية التي ترعرعت وسط نضال الحركة الوطنية وجهاد العلماء في سبيل تثبيت مقومات المجتمع الجزائري، وهي مرحلة مقاومة فكرية بوسيلة التاريخ كان لها ثمارها بشكل واضح لا شك. وعليه فإنّه لا يلام هؤلاء عن طريقة التقديم وأسلوب

التحليل وعد الانضباط بمستلزمات البحث الأكاديمي، لأن غرض الكتابة لم يكن التعمق في طرح الاشكال وحلّه، أو القيام بالتحليل والنقد والتقييم للقضايا والأحداث، وإنّما الغرض من الكتابة بناء ما سعى الاستعمار على هدمه فق سياسته الكولونيالية من شخصية وطنية وكينونة مغاربية وإفريقية وهوية إسلامية.

1.4. انبعاث مدرسة التاريخ الوطنية الأكاديمية

كان انبعاث مدرسة التاريخ الأكاديمية بعد جهود علماء الجمعية الذين بذلوا لكتابة التاريخ الوطني، وكان التأسيس الأكاديمي للتاريخ من قبل بعض الذين أرسلتهم جبهة التحرير الوطني إبان الثورة للدراسة ببلاد المشرق حيث الزيتونة وجامعات مصر وأزهرها، مثلما درس بعضهم في جامعات فرنسا، وقد عاد هؤلاء الطلبة فيما بعد ليؤسسوا للفعل التعليمي الأكاديمي رفقة الأشقاء العرب الذي جاؤوا إلى لجزائر، وساهموا في تعليم أبنائها ومن هؤلاء نذكر: أبو القاسم سعدالله، موسى علاوة لقبال، ويحيى بوعزيز، وعبدالحميد حاجيات، مولاي بلحميسي المازوني، محمد البشير شنيتي، وعطاء الله دهينة، جمال قنان، رشيد بورويبة، وإبراهيم فخار، ومحمد الطاهر العدواني، و محمد الصغير غانم البسكري القسنطيني، وناصر الدين سعيدوني، وعمار هلال، وغيرهم...

قدم هؤلاء جهدا أكاديميا جبارا في تأسيس معهد التاريخ، وتخريج الآلاف من الطلبة المتخصصين في التاريخ والآثار، وتأسيس كتابات جادة ومتنوعة في التاريخ العسكري والسياسي والتاريخ الاجتماعي والثقافي، كان منها على الإطلاق جودة وهدفا كتاب "**الجزائر عبر التاريخ**" الذي شارك فيه نخبة هذه المدرسة. وطرح هذا العنوان سلسلة من الكتابات في تاريخ ما قبل التاريخ ووجود الإنسان الأول، والتاريخ القديم والتاريخ الوسيط ثم الحديث فالمعاصر. وقد خرج هذا المؤلف إلى النور عام 1984، أي بعد عقدين من فجر الاستقلال، بما يؤشر على بزوغ مدرسة تاريخية وطنية بدأت تدب على رجليها بفضل ذلك الجيل، إنّه جيل التأسيس الهيكلي والفكري لمدرسة لها بعدها القومي الوطني التحرري. وعلى إثر هذا التأليف وغيره فيما بعد تنحدر أقلام الباحثين التلاميذ لتتعمق في دراسة التاريخ المحلي والشخصيات الوطنية، وتاريخ الفرق والعقائد والعلوم، لتظهر دراسات عن القبيلة بالجزائر وعن حواضرها وعن شخصياتها ورموزها، كأحمد باي والأمير عبد القادر وابن باديس وحواضر كتلمسان وبجاية وتهرت، للتعمق دراسات أخرى في قضايا سياسية واجتماعية واقتصادية محلية وإقليمية وعالمية بكل جدية وتمكن، خصوصا في الأقسام التي تأسست أولا لتدريس التاريخ بجامعات الجزائر وقسنطينة ووهران. وهي التي صارت مراكزا لمعهد التاريخ تخرج منها طلبة باحثون في التاريخ المحلي من القديم الى المعاصر أمثال محمد بن عميرة وقويدر بشار وبوعزة بوضرساية ويوسف مناصرية وإسماعيل سامعي والغالي غربي وعبدالقادر بوباية وإبراهيم بحاز وبوبة مجاني لطيفة بشاري ومحمد الهادي حارش وإبراهيم بشي...والقائمة طويلة في هذا الشأن ممن حملوا لواء الكتابة التاريخية المحلية عبر كل الحقب، ترتب عنها كتابات وتلاميذ وملتقيات ومؤسسات علمية مختصة في البحث التاريخي على غرار مركز البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 بالإضافة على الأرشيف الوطني .

2.4. قامات مؤرخة ومحققة منسية من جيل التأسيس:

لا يمكن إحصاء عدد المؤرخين الناشطين في مرحلة التأسيس باعتبار أنّ الممارسة التاريخية قد تناولها الأكاديميون في مدارس مشرقية وغربية، وعدد آخر كتب مشاهداته وحلقات حياته كمعايش للتاريخ، ولكن بفكر مثقف واع، وعليه لا يمكن أن نغمط حقا كرسه الإنتاج التاريخي لعدد نسيه الناس، وهم يتدارسون مآثر مؤرخي المدرسة الجزائرية في مراحلها الأولى ومنهم:

– د: **محمد الصغير غانم البسكري القسنطيني:** الذي له أزيد من 20 عنوانا ودراسة في التاريخ القديم، وإن كان يساير الدكتور محمد البشير شنيتي في التوجه والطرح، لكن بصمته في التاريخ قد يلاحظها النابه في اختصاصه وتأثيره، فربما يعدّ في طليعة من كتب عددا من الأبحاث في التخصص.

– **رابح بونار**: المؤرخ المحقق والباحث المدقق والعالم الزواوي (1923–1974) من أعالي تيزي وزو، ولسنا ندري أسباب غمط حق هذا العملاق الذي كرس حياته لخدمة التاريخ بحثا وتحقيقا، لولا أن بعضا من الأساتذة اليوم صار يعمل على إظهار علو كعبه التاريخي من خلال مذكرات الماستر التي باتت تحلل كتاباته ككتاب "**المغرب العربي تاريخه وثقافته**" وتحقيقاته ككتاب "**عنوان الدراية**" للغبريني.

– ونفس الملاحظة بالنسبة **لإسماعيل العربي** المؤرخ الرحالة، ابن جمعية العلماء، والمولود ببني وغليس ببلاد زواوة عام 1919، له من المؤلفات والتحقيقات ما يحقر المؤرخ نفسه أمامها "**24 كتابا في التاريخ والاقتصاد و07 كتب مترجمة مع 13 مخطوطا محققا**".

– **محمد العربي الزبيري:** المؤرخ المجاهد والناقد السياسي، والمهتم بتاريخ الجزائر المعاصر في شقه السياسي والعسكري حفظه الله.

– **عبد القادر زبادية الجزائري البسكري:** البغدادي التعليم المولود عام 1933 المتوفى سنة 2013 الذي خاض غمار البحث في التاريخ الحديث، وتخصص في الدراسات الإفريقية، وله فيها أربعة كتب أساسية.

هؤلاء هم نماذج ممن طالهم التدليس، فلم يعتن برصيدهم، ولم يقتف بأثرهم حق العناية وحق الاقتفاء – وغيرهم كثير– بل تمّ غمط حقوقهم على الرغم من انتاجهم وتوجههم في الدراسات التاريخية ذات العمق والقيمة. ومن اللازم– ونحن نقوم بحصر الأعمال وإظهار الجهد التاريخي– ألاّ يتمّ إهمال هؤلاء في أثناء تقديم عناوين المذكرات لطلبتنا أو في الاستناد إلى ابحاثهم في طروحاتنا، والاستشهاد بما وصل إليه هؤلاء من نتائج وملاحظات تصب في صميم البحث التاريخي بكل حقبه وتخصصاته.

5. المدرسة التاريخية المعاصرة ودخولها مرحلة التخصص

أبرز سمة لهذه الفترة في إطار التكوّن للمدرسة أنّها وضّحت معالما متخصصة تاريخية:

فقد تخصص "**محمد البشير شنيتي**" في تاريخ المغرب القديم، وكتب مع محمد الصغير غانم مؤلفات غاية في التمحيص والعمق في التحليل والجدية في رصد المعلومة، وقد توصل هؤلاء إلى تقديم شروحات وتحاليل لقضايا التاريخ الوطني والإقليمي يمكن أن نجابه بها الطروحات الكولونيالية والاستشراقية، التي

خاضت في تاريخ المغرب القديم برؤية فوقية وعبثية، تخدم أغراضا غير علمية بحتة، وللأسف أن يساير طروحات هؤلاء بعض الأقلام من بني جلدتنا، من باب البحث العلمي، ولكن خدمة الغرض الاستعماري يتجلى من خلال مخرجات أفكارهم.

وكان المؤرخ "**محمد الطاهر العدواني**" قد سطر طريقا فيما قبل التاريخ وسار وراءه أساتذة أمثال إبراهيم بشي، وتأثر بكتاباته محمد سحنوني، وربما أخذ عنه أهل تخصص الآثار العديد من الآراء، باعتبار التناسق بين التاريخ القديم والآثار، وللأسف أن العمل السياسي ثم المنية قد افتكا منا قلما كنّا نرجوا من مداد أفكاره الكثير.

وتخصص "**لقبال**" في التاريخ الوسيط المذهبي والقبلي، وانجر وراءه طلبته في هذا الاتجاه، ومن تأثر به بشكل غير مباشر، أمثال بن عميرة ولطيفة بشاري وبوبة مجاني وإسماعيل سامعي إبراهيم بحاز وقويدر بشار ومحمد بن معمر. ولا شك أنّ لقبال قامة علمية وقلم تاريخ نافذ في طرح الأحداث وتحليل الأفكار وفي تقديم رؤية اتجاه قضايا التاريخ الوسيط، والتي تخدم الفكر التاريخي وتؤسس لمدرسة وسيطية، لها من الخصوصية ما تنافس بها طروحات استشراقية نافذة في تناول التاريخ، وإنّ اقتحامه المجال القبلي المؤثر في الحدث السياسي والمتماهي مع المعطى الفقهي والعلمي قد ساهم في دفع البحث التاريخي الوسيطي على أبعد الحدود. ولايزال خطه في البحث قائما في طلبته والمتأثرين بتوجهه (التعليق رقم12).

وفي نفس الاتجاه تعمق "**عبد الحميد حاجيات**" في التاريخ الوسيط الزياني، في وقت لم يهمل أهم دور للمؤرخ وهو فن التحقيق، فساهم بقسط وافر في تحقيق المخطوط، وسار على دربه تلامذته أمثال محمد الأمين بلغيث وعبدالقادر بوباية وغيرهما، والحقيقة أن هذا المؤرخ بقدر ما عمل على طرح مؤلفات لها قيمتها، فإنّ تأثيره في طلبته الذين أشرف عليهم مباشرة لايزال يسري في تحفيزهم نحو بحث تاريخي له من القيمة العلمية والشخصية الوطنية ما يمكن أن يجعل منه قلعة بارزة في البناء التاريخي الوطني.

وتخصص "**أبو القاسم سعدالله**" في التاريخ الثقافي بالأساس، فرسم طريقا لأتباعه من الطلبة في تخصصه وخارج فترة تخصصه. أمثال محمد العربي معريش، ويوسف مناصرية، مصطفى عبيد، وغيرهم كثيرون. ولا شك أن شيخ المؤرخين (التعليق رقم13) يعد حجر الأساس في التاريخ الثقافي من خلال كتابه "**التاريخ الثقافي للجزائر**" والذي يعتمده الباحثون الجزائريون عبر كل التخصصات، للاحتماء به والنهل منه والتأسيس عليه. مثلما لا نشك – أيضا– في أن مؤلفاته "**أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**" و"**الحركة الوطنية الجزائرية**" و"**محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**" كلها تشكل لبنات مهمة في بناء التاريخ الوطني في حقبته الحديثة والمعاصرة. ولا تزال هذه القامة العلمية بمنتوجها وأخلاقها العالية تؤثر في مجموع الباحثين الذين احتكوا به واستأنسوا بشخصه فضلا عن كتاباته (بن شيخ ، 2016، ص ص 61– 72).

واعتنى المؤرخ الفذ **مولاي بلحميس** بتاريخ البحرية الجزائرية الحديثة، وسار وراه طلبته أمثال عائشة غطاس والغالي غربي، ونادية طرشون، وزهرة بوحمشوش، ورابح كنتور، وغيرهم من الباحثين الجدد، كما تشهد

ساحات البحث في هذا التخصص، بروز قامات تبشر بخير أمثال فاطمة الزهراء قشي ومحمد دراج وخليفة حماش وغيرهم، ممن يمكن أن يسهموا في دفع البحث العلمي في التاريخ الحديث إلى مداه البعيد، وقد قدم خليفة حماش عملا مميزا سيؤسس لفضاء بحثي جاد حينما قام بجرد مصادر هذا التخصص وأوراقه الدفينة، حيث لا يمكن لأي باحث الاستغناء عن بحثه في هذا المنحى.

وفي نفس الحقبة تخصص الدكتور "**ناصر الدين سعيدوني**" في التاريخ الحضاري "**الاجتماعي والاقتصادي والثقافي الفكري**" للجزائر في العهدين الحديث والمعاصر، وهو يقدم اليوم جهدا كبيرا من خلال مساره الذي رسمه "**مؤسسه ناصر الدين سعيدوني**" محاولا وضع طرح تاريخي يمكن أن يفضي إلى توجه له طريقته في التاريخ، وهي تجربة رائدة نرجو أن تثمر قريبا بما يثلج البحث العلمي التاريخي توسعا وعمقا خصوصا بعد مؤلفه حول "**المسألة الثقافية في الجزائر النخب، الهوية، اللغة**". وهو الذي قدم إجازته الضمنية إلى الباحث ودان بوغفالة ليستمر في مشروعه البحثي – كوارث شرعي – في التاريخ الحديث وهي لفتة قيمة في بناء التخصص (التعليق رقم14).

أما فيما يخص "**التاريخ المسلح والسياسي للجزائر**" والذي يخوض في تاريخ المقاومة المسلحة والحركة الوطنية والثورة التحريرية، فإنّ العناية بهذا الشأن بدأ في الخوض فيه سنوات السبعينات، لتتطور وتتمكن نهاية الثمانينات، وتتوسع بشكل واسع بعد التسعينيات من القرن الماضي، بعدما كانت كان محتشمة نهاية الستينات. ولا شك أنّ النظر فيما كتبه "**عبد الحميد زوزو**" و"**إبراهيم مياسي**" بعد السّادة المؤسسين أمثال "**يحيى بوعزيز**" يعدّ عملا مميزا في تتبع المقاومات الشعبية.

لقد تأسست العديد من الأبحاث في هذا التخصص الأخير "**التاريخ العسكري والسياسي**" فصارت تخوض في أحداثه بعد "**مرحلة الحكم الأحادي سنة 1990**"، وبعد دخول البلاد والمجتمع الجزائري "**مرحلة التعددية**" فعقدت الندوات وكتبت المقالات ودونت المذكرات، ووقع النقاش في مسائل كانت سابقا ممنوعة، لينفتح الباحثون على مواضيع لم يكن من اللازم السكوت عنها، فعملوا على تأطيرها ورصدها ومناقشتها لكي لا تسبب شرخا اجتماعيا، وهنا تفطن النخبة الوطنية إلى ضرورة انشاء مجمع ومؤسسة تكون قاطرة البحث في "**تاريخ المقاومة والحركة الوطنية والثورة**" (التعليق رقم 15)، الذي قام عليه باحثون حملوا لواء الكتابة التاريخية في هذه الحقبة وأنتجوا كتبا ومقالات وحوارات، ونشطوا ونظموا ندوات وملتقيات، كانت كلها تصب في إطار الحديث والشرح والتحليل لتاريخ هذه الحقبة، وبذلك العمل على تحرير تاريخ الحقبة من الممارسات الفوضوية، ومن عبث الذين يحنون إلى الحقبة الاستعمارية من المدرسة الكولونيالية أو أذيالها.

لكن هذه المؤسسة – كهيئة قائمة لتحقيق الأهداف التي تأسست لأجلها– خفت بريقها، وتقلص نشاطها، وتراجع اهتمامها، وربما صارت عبئا على البحث، فلم تحقق الأهداف التي أنشئت لها، رغم جهود البعض، ومحاولات من حين لأخر، وإذ نرجو إعادة تنظيم هذه الهيئة، وجعلها منفتحة على كل الباحثين، وتطوير آليات العمل بما ينجز الأهداف المرجوة، وتحفيز الباحثين الناشئين للاستمرار بجدية فائقة، فإنّ موقعها

في العاصمة كموقع وسط بين الجامعات الجزائرية، ووجود فئة من الشباب الجاد المخلص، وحرص السلطات على إعادة الاعتبار لها، هو ظننا في عودة هذه الهيئة إلى نشاطها. كما نعتقد أنّ إنشاء فروع لهذه الهيئة في الجنوب والغرب والشرق هو مما يدفع إلى توسيع الاهتمام بالتاريخ الحديث والمعاصر، والاستفادة من الأرشيف المادي واللامادي المتوافر خارج العاصمة، هذا فضلا عن وجود طاقات باحثة في التاريخ لم يقدر لها التواصل مع هذا المركز لأسباب معقولة وأخرى غير مفهومة.

كما لا يفوتنا التنبيه على التماهي الذي وقع بالجزائر في ميدان الدراسات التاريخية بين تخصص التاريخ وتخصص الآثار، وقد كان كلا التخصصين تحت إدارة واحدة من النشأة على غاية المرحلة الأخيرة – بعد سنة 2000– حيث ساهم الأثريون بما أوتوا من حنكة علمية في تطوير البحث التاريخي، باعتبار أنّ علم الآثار من العلوم المكينة والمؤثرة المساعدة للتاريخ، وهنا تبرز أهم شخصيتين أثريتين قدمتا جهدا في سبيل الارتقاء بالمدرسة التاريخية، فكان "**عبدالعزيز لعرج**" يقدم طروحاته حول الآثار العمرانية ببلاد المغرب، وكانت الشخصية العلمية الثانية وهو "**صالح بن قربة**" تتخصص في النقود والمعادن، كأثر قديم يمكن من خلاله رصد الحالة والحادثة التاريخية، ولا شك أنّ كلا منهما ساهم في تأسيس النظرة الأثرية الجزائرية إلى الواقع التاريخي حينما سار على أثرهما تلامذتهما فأسسوا فرقا بحثية، ومخابر متخصصة، وخرجات ميدانية نعتقد أنها لبنة مهمة في تشييد صرح البعد الأثري الأكاديمي الذي كان مستوليا عليه من قبل المدرسة الفرنسية سالفا (التعليق رقم 16).

وإذا عدنا إلى مساهمة المؤرخين فمن الواجب الانتباه إلى أنّ هؤلاء –القامات التاريخية الأولى– بقدر تسطيرهم للتخصص الواضح حسب الحقب التاريخية "**قديم، وسيط، حديث، ومعاصر**" فإنّه قد انحدر عنهم من تخصص في التاريخ حسب الإقليم والأرض "**التراب**" وعلى رأسهم عبدالعزيز فيلالي وهو يكتب عن تلمسان الزيانية، وتخصص بعضهم في المشرق أمثال بشار قويدر، وبعضهم في الأندلس كمحمد الأمين بلغيث وعبد القادر بوباية، وبعضهم أحدث نقلة نوعية في الاهتمام بدراسة تاريخ الشرق الأقصى، حيث يعد الدكتور أحمد شريفي رائدا لتلك الدراسات، فخصص أطروحته ووجه – فيما بعد – طلبته إلى دراسة تاريخ المغول والصين والهند، وبات هذا التوجه الذي سلكه أستاذنا أحمد شريفي يحصد عناية الباحثين من خلال دراسة العلائق والشخصيات والمنتوج الفكري الثقافي للمنطقة، وكيف تعامل المسلمون مع غيرهم في هذا الإقليم الحساس الذي صرنا بحاجة إليه اليوم في ضوء الانفتاح الكلي على التعاملات الصينية والهندية وما حولهما. ولا شك أنّ دراسات التاريخ المعاصر لا بد أن تنصب حول هذا المجال لاعتبارين هما:

– الدور الذي لعبته دول المنطقة وشعوبها في مؤازرة القضية الوطنية إبان الحقبة الاستعمارية، ومساندتها لنضال المجاهدين على الأقل من خلال مؤتمر باندونغ.

– لأجل أن نكوّن مدرسة لابد لها من شروط، وعلى رأسها أن تحوز المدرسة دراسات عن كل أقاليم العالم، والاطلاع على التجربة التاريخية لكل من كتب في التاريخ، وهنا تظهر المدرسة التاريخية الصينية واليابانية

والهندية التي لا نعلم عنها شيئا في كيفية تعاطيها مع التاريخ، ومن الواجب الاطلاع على عراقتها في الكتابة التاريخية بالنظر إلى عراقة حضارة الهند والصين وشعوب المنطقة.

وإذا تحدثنا عن شرط الدراسات العالمية في بناء المدرسة التاريخية الوطنية والمحلية، فإنّ التوجه الذي ننبه عليه هو ضرورة العناية بكتابات العالم الجديد، ونظرته إلى التاريخ. فكتابات المدرسة التاريخية الأمريكية رائدة في هذا الشأن، وهي التي أنتجت مدرسة التاريخ الفكري الذي نافست به المدرسة الأوروبية بعدما كانت قد تأثرت بها في فترة التأسيس، ولا شك أنّ الصناعة السياسية والاقتصادية قد ارتكزت على الصناعة التاريخية، وهو السّمت الثقافي الذي ارتكزت عليه المدرسة الأمريكية.

كما أنّ العناية بالدراسات الإفريقية يعتبر توجها اجتهد فيه المتخصصون لتحقيق شمولية المدرسة واطلاعها على الوقائع الإفريقية والاعتبار بها، ولا يمكن أن نغمط حق إثنين تناولا الموضوع حينما بدأها المؤرخ عبد القادر زبادية، وتمكن فيها من المتأخرين منصف بكاي، فأنشأ لها توجها، وحرض عليه الطلبة، وتأسست له مؤتمرات وندوات، وتشعبت تاريخها من المعاصر إلى الحديث إلى الدراسات الوسيطية، حيث يقوم الآن الأستاذ نور الدين شعباني بجهد واضح في سبيل تمكين هذا التخصص بجامعته "**خميس مليانة**" وباقي أقسام التاريخ عبر الوطن.

وهذا الذي يجب أن يتم دراسته من قبل باحثينا حتى نطلع على منتوج ونظرت أصحاب هذه الأقاليم – الصين، الهند، أمريكا، وإفريقيا – بما يتطلبه شرط إقامة المدرسة. والانفتاح على تلك المدارس معناه التخلص من النظرة الأوروبية، التي ترعرعت اثناء الحملة الاستعمارية، وكرست الفوقية الأوروبية، وبالمقابل الدونية المحلية في تناول التاريخ واستخدامه كسلاح لتكريس السيطرة الأوروبية.

ويضاف إلى هذا الجهد التأليفي والمنحى التأريخي تحقيق المصنفات السابقة والمعروفة بـ "**المخطوطات**"، ومدى قيمتها في بناء حوادث التاريخ، وتفسير العديد من القضايا العالقة، ومعروف أنّ المخطوطات أصناف وأنواع من حيث الشكل والمحتوى، وكلها يؤدي غرضا بالنسبة للتاريخ، وهو المساعدة في تفسير التاريخ بدرجة قصوى، وربما كانت في الدرجة الأولى من حيث القيمة التاريخية، فتحقيق المؤلفات، وشرح الرسائل، والتثبت من العقود، وتفكيك ألغاز الأرشيف تدخل في جهد المحققين الذين يسترجعون هذه الكنوز لخدمة الحادثة التاريخية، وإنّ العمل الذي تقوم به جامعات أدرار ووهران وبلعباس وقسنطينة وغيرها إنّما يدخل في هذا الشأن الذي يجب أن نكرس له مزيدا من المخابر وعددا من الفرق، لبلوغ غاية السيطرة على مجمل الوثائق التي ستدلي بشهادات تاريخية.

ولا شك أنّ عددا من هذه المخطوطات قد صارت بعيدة عن يد الباحثين بسبب الإخفاء أو الاتلاف أو الأنانية. ممّا جعل تراثا مهما يضيع من بين أيدينا، لتضيع معه الحقيقة، فتغيب عنا الدقائق. وهو ما يدفع إلى إطلاق صرخة اتجاه القائمين على شأن الموروث من وزارة الثقافة ووزارة التعليم العالي، على ضرورة أن

ينتهجا خطة لاسترجاع وتفعيل هذا الموروث الضائع، وهو رصيد الأمة الغابر الذي يشهد النزيف بكل الأشكال.

6. أجيال المدرسة التاريخية الجزائرية المعاصرة

نعتقد – أثناء تتبعنا لنشاط الكتابة التاريخية بالجزائر– أنّ هذا النشاط قد أفرز لنا أجيالا متباينة العناية والاهتمام بالتاريخ، كما نلاحظ وجود بصمة لكل جيل بما ينبئ بتبلور مدرسة ستظهر بعد قرن ونيف من التأسيس 1920– 2040، والتي سيكون لها شأن بوجود كمٍ هائلٍ من الباحثين الذين سيفرزون نوعية متميزة من بينهم – ولاشك– لأن المدرسة بقدر ما تتكون من الكم المتعدد من الباحثين وأبحاثهم، لابد أن تحوز نوعية متميزة من الأبحاث لتكوين أقطاب داخل المدرسة، تلك الأقطاب التي تتنوع تخصصاتها إقليميا وزمانيا وموضوعاتيا ومجالات بحثية تصاغ فيها أبحاث الطلبة المتخصصين، وعندها ستبرز مناهج مستوحاة من عمق المعاناة البحثية يجتهد في صياغتها زعماء تلك الأقطاب، فتكون المدرسة.

وإنّ تتبعنا لمسار البحث التاريخي قد أوصلنا إلى تمييز فترات يمكن أن نضبط من خلالها التحولات في لكتابة التاريخية الجزائرية، والتأسيس لمدرسة قائمة بذاتها، وهذا عبر أجيال يمكن تقسيمها إلى:

1.6. الجيل الأول: 1920– 1962

كانت كتابة هذه المرحلة في إطار التاريخ العام للجزائر، لأجل فرض الشخصية الوطنية وابرازها، قصد مواجهة الكتابة التاريخية الكولونيالية التي تمارس عملية الطمس والمسخ والهدم للهوية، وتضرب الشخصية الجزائرية. وقد مثل هذا الجيل كل من مبارك الميلي أحمد توفيق المدني وعبد الرحمن الجيلالي من خلال كتاباتهم الموسوعية والرصينة التي تعرّف (التعليق رقم 17) بالبعد التاريخي للمجتمع الجزائر في ظل حركة الاندماج التي انتهجتها بعض النخبة عصرئذ (التعليق رقم 18).

2.6. الجيل الثاني: 1962– 2012

جيل البناء وتأسيس الذي رسم القاعدة الأكاديمية المتخصصة والمتنوعة في جميع حقب التاريخ. محمد الطاهر العدواني، محمد البشير الشنيتي، موسى لقبال، مولاي بلحميسي، محمد البشير سعيدوني، أبو القاسم سعدالله، إبراهيم فخار وعبد الحميد حاجيات، يحيى بوعزيز وغيرهم من قامات التاريخ في هذه الحقبة الفاعلة...، والحقيقة أن هذا الجيل يمكن اعتباره الجيل الذهبي للكتابة التاريخية التي لا تزال صاحبة السبق في العديد من الدراسات والموضوعات، فحينما كتب سعد الله تاريخه الثقافي، وتاريخ الحركة الوطنية، ودوّن ناصر الدين سعيدون عن المسألة الثقافية الجزائرية والتاريخ العثماني بالجزائر، وكتب مولاي بلحميسي كتابه عن البحرية الجزائرية زمن الحكم العثماني، وخاض لقبال في قبيلة كتامة ودورها في الدولة الفاطمية، وتبحر كل من شنيتي وغانم في الأثر الفنيقي وبلاد نوميديا في التاريخ القديم، وخاض يحيى بوعزيز في تاريخ المقاومة الشعبية، فإنّهم يقدمون النظرة العميقة والمحلية وعن قرب لتاريخ هيمن عليه الأوروبيون بفكرهم الاستعلائي

وانتقائيتهم المفرطة، لتحقيق الغرض الدوني، وفرض النظرة الاستشراقية. نقول هذا دون التعميم على باقي الأبحاث التي كانت تروم العلمية ولا شك.

3.6. الجيل الثالث: منذ 2012 – 2040

هو الجيل الحالي الذي وجب أن يتعمق في الموضوعات ويسدّ الفارغات التي لم يصلها الأوائل، ويؤسّس منهج مدرسة وفق مقاربات يحافظ بها على أصول الكتابة التاريخية الجزائرية المتميزة بالوطنية، وينفتح على المدارس الحداثية التي باتت تغزو كتابات التاريخ بكل تخصصاته وحقبه ومواضيعه..

هذا الجيل الأخير الذي ستتبلور لديه مصطلحات خاصة بالمدرسة، وسيخوض معركة المفاهيم والسياقات التي تنحدر منها أبحاثه وفق مخزون الأجيال السالفة، وسيحقق التحقيب المناسب لتاريخ المنطقة والتراث المعرفي والمادي لحضارة لها قيمتها وسمتها وبعدها وتأثيرها.

لا شك أنّ اجتهادات النابغين حاضرة مكرسة ولو في الخفاء، ولكنها تدبّ في عقول الطلبة التواقين إلى التمكين للمدرسة التاريخية الوطنية، بعيدا عن تمجيد التاريخ، ولكن ليس مرتدا عن تضحيات السابقين وجهادهم الحضاري. فما تقوم به كل من نخبة المسيلة وقسنطينة وفتية المدية ووهران والوادي والبليدة وباتنة وغيرها سيدفع إلى تكريس التنافسية داخل المدرسة الكبرى (التعليق رقم19). ولكن لا يمكن أن نصل إلى بلورة فهم للتاريخ وكيفية التعاطي معه إلاّ بالاجتماع الدوري بحسب ملتقيات وندوات، وبإنشاء مخابر بحث وفرق علمية متخصصة تحلل هذا المعطى وتجسد هذه الغاية، وإلاّ بات كل واحد يطرح تصور سيموت معه. وكل هذا في ظل ظهور تحدٍ جديد وهو النضال لاسترجاع الأرشيف، ومواجهة المدرسة التاريخية الفرنسية التي تساوم على التاريخ الوطني، إنها معركة التاريخ المستمرة، والتي صار وسيلتها القلم ودرجة الوعي بالتاريخ.

إنّنا ندعوا إلى ضروري أن تلتقي الأفكار والأقلام على تقنيات ومناهج ومقاربات يبتكرها هؤلاء لتجسيد الكتابة التاريخية المتميزة، بمثل ما لا تقتصر العناية بالتاريخ على فئة مهتمة بحقبة كالوسيط ونغفل عن حقب أخرى لها قيمتها وأثرها، فمن الواجب أن تتساير العناية بالأبحاث التاريخية المتميزة في جل حقب التاريخ، لأنّ الإخلال في الموازنة بينها لا تحقق المقصود (التعليق رقم 20). وما يلاحظ هو حضور أنواع من المعوقات التي باتت تقف في وجه تحقيق هذه التوجهات والطموحات، وتعصف بالرغبة في تطوير الشأن التاريخي، ممّا يتطلب جهدا لتجاوزها والحدّ من تأثيراتها على أعمال ونفسيات باحثي التاريخ.

7. معوقات الانبعاث للمدرسة التاريخية الجزائرية الحالية

بالرغم من القاعدة المتينة التي أسسها الأوائل في سبيل تحقيق مدرسة تاريخية نموذجية، إلاّ أنّ العديد من العراقيل لا تزال تعيق تحقيق الهدف المنشود ليبقى حاليا أملا مفقودا ومنها:

– عدم وجود رعاية خاصة بالموروث والتاريخ من قبل القائمين عليه، وترك مصيره بين يدي مناوئيه الذين حملوا شعارات سابقا تنادي بأنّ: "**التاريخ إلى المزبلة**" (التعليق رقم 21) ... إنّها الحقيقة المرّة التي تكرست

من خلال تقليص معامل التاريخ في المؤسسات التربوية كأبسط مثال، أو شحن كتب التاريخ المدرسية بأغاليط بعيدة عن الحقيقة التاريخية ومشوهة لها، هادفة إلى طمس حقائق أو تغليب نظرة على أخرى.

– بعض التخصصات تحتاج الى اقتحام وإلمام، كالتخصص في التاريخ الأوروبي بكل حقبه والآسيوي والأمريكي وكذا التاريخ الراهن للشعوب، وعلى الرغم من أقلام وجهود البعض أمثال الدكتور قنان والأستاذ أحمد شريفي، وأقلام من مدرسة وهران وقسنطينة، فإنّ هذه العناية تظل ناقصة في الكتابات التاريخية الوطنية.

– توظيف التاريخ توظيفا غير علمي، بل بانتقائية لا مسؤولة، ممّا شوّه أهدافه وغير مجراه، وإنّ التعاملات السابقة مع التاريخ في حدوده الظرفية، مع إقصاء بعض الأقلام – بشكل أو بآخر– قد أدى إلى الشّك في حقيقة بعض الأحداث وتفاسيرها، مثلما أدى إلى النفور لدى فئة عريضة من المجتمع على التعاطي مع التاريخ، فصار ضرره على التاريخ جسيما.

– كما نسجل بعض الضعف لدى عدد من القائمين عليه، وربما تسلّط فئة من الباحثين في استخدامه لمآرب ذاتية غير علمية ووطنية، مع تكوين العصب التي تعصف بالكفاءة التاريخية، وتكريس الرداءة في التكوين. كل ذلك أدى إلى الشّك في الكفاءات، والريبة من التاريخ والحطّ من قيمة تأثيره في بناء الشخصية الوطنية. وإذ لا نعتقد أنّ الغالب على البحث هذه الأصناف، ولكن بروز مثل هكذا ممارسات قد دفع إلى اعتقاد الناس والمتابعين باستشراء المرض في كل قطاع التاريخ الأكاديمي، وهنا لابد من إرسال نداءات لمزيد من التنظيم والضبط في العملية البحثية التاريخية، من حيث تحكيم المقالات، وضبط المشاركة في الملتقيات، وتعزير المتلبسين بالسرقات، وتطبيق المقاييس عند التوظيف في المؤسسات القائمة على التاريخ، وفق كفاءة واضحة ونشاط فاعل.

– كرس استشراء السرقات العلمية ضياع الأمانة العلمية والنزاهة في طرح مواضيع التاريخ، وبرزت ظاهرة سيطرة اللوبيات التاريخية المتاجرة بالتاريخ تنشيطا وتأليفا، وللأسف قد أفضى هذا بدوره إلى قتل البحث العلمي ممّا أدى إلى سقم المنتوج العلمي، وولّد التزييف للحقيقة...إلى غيرها من الصفات المقيتة والمعيقة لاستمرار تكوين المدرسة التاريخية أو تأخر بروزها. لكن بقدر ما يتبادر إلى الذهن من سلبيات الممارسة للبحث التاريخي، فإنّها تعدُّ مظهرا شاذا وسحابة عابرة بالمقارنة مع الجهد الذي يبذله عدد من الباحثين المرموقين، الذين كرسوا طاقتهم للنهوض بالبحث التاريخي ببلادنا من خلال تأسيس المجلات، وعقد الندوات والملتقيات، وتأليف المصنفات، والمشاركة في توعية العامة في المناسبات بإجراء المقبلات والمداخلات المباشرة عبر وسائل ووسائط التواصل بأنواعها (التعليق رقم 22).

8. معالم وآليات المدرسة التاريخية التي نروم...أو كيف نتناول التاريخ...؟؟

بقدر ما نطرح هذه الآليات للعمل، والتي نراها تدفع إلى رؤية ذات شأن، فيجتمع حولها الباحثون، فإنّ هذا الطرح وسبل التجسيد للمدرسة يعد اجتهادا يحتاج إلى بلورة وتعزيز ونقد، نقصد من خلاله تفعيل الساحة الأكاديمية وتحفيزها على وجوب النظر في المسألة، مثلما ننبه على أنّه حان الوقت للانتقال إلى مرحلة جادة

تصبّ فيها جهود المخلصين في إطار الصراع الحضاري الذي بات يفرضه علينا التاريخ والواقع وحظوظ المستقبل (التعليق رقم 23) لبناء رؤية تاريخية لها حضورها وطرحها المتميز، وقراءاتها للتاريخ، بما يؤدي إلى عمق الحقيقة من وجهة نظر وطنية.

وعليه من الواجب في هذه المرحلة أن تقوم دراساتنا للتاريخ لأجل الاستثمار في التاريخ وفق التالي:

– من الواجب أن ننتقل في التناول للتاريخ "**من الهدم إلى البناء**" في الفكر والكتابة والتعامل مع القضايا المصيرية والمفصلية والشائكة. بمعنى أن تقوم كتابة التاريخ والتعاطي معه هادفة خدمة المجتمع ومساهمة – من خلال ذلك– في تزويد رصيده الفكري بما ينير دربه، ويفخر ويعزز انتماءه، ويقوي رابطته الاجتماعية، ذلك أنّ التاريخ يحوي نماذج يقتدي بها المجتمع، فلا يجوز هدمها أو الإنقاص من قيمة تأثيرها، وأنّ لا نركز على الحوادث التي تكرس مزيدا من التفرقة والانشطار، ولا نقول هذا طمسا للتاريخ وعدد من حقائقه، ولكن بعد بناء الوعي بالتاريخ يمكن أن نخوض في التجارب المريرة بشكل واسع لنستلهم منها العبر.

– يجب التعمق في تاريخ الأرض والتركيز على عنصر التراب، وأنّ لا نغرق في تاريخ العرق والدم، لأن تاريخ الأرض والتراب جامع لكل العناصر والإثنيات، وهو وعاء كل الحوادث والأقضيات، وإذا كان الانسان فاعل الحركة والحوادث، فإنّ الأرض والتراب هي ميدانها ومرتعها. ولذا من الواجب العناية بالتاريخ المجالات "**المدن والمناطق، في السهل والجبل والصحراء، والبادية والريف والمدينة وتاريخ الأزقة والأحياء...**" (التعليق رقم24). فإذا كانت الكتابات الكولونيالية – مثالا – تركز على الجنس والنسب في القضايا التاريخية، لدواعي التفرقة ثم الهيمنة، فإنّ الفهم يتوجب علينا أن نذكر الخائضين في هذا الشأن من أبنائنا بأنّ الأوائل قد وضعوا قواعد في شأن النسب. فأسسوا في النسب قاعدتين هامتين **أولهما** أنّه: "**كل مصدق في نسبه**". و**الثاني** وهو أن الأنساب: "**علم لا ينفع، وجهالة لا تضر**" باعتبار أنّ الحضارة الإسلامية جامعة لكل العناصر، متنوعة بكل الثقافات.

– يتوجب علينا في أبحاثنا الأخذ بالمقاربات فالكل يتناول التاريخ، ولكن الكيفية تختلف، بين المقاربات الصراعية، والمقاربات التفاعلية، والأخرى البنائية، وهو منتوج منهجي وصل إلى بلورته علماء الاجتماع والنفس، ونعتقد أنّ السير في إطار المقاربة التفاعلية لدراسة التاريخ الوطني بالأخص هي الطريقة التي أثبت التاريخ بأنّ إعمالها في حضارتنا وواقعنا قد انتج السيادة، وإهمالها قد أدى إلى الشقاق والتفرقة والتخلف، فالتنوع البشري في كل مناحيه ومكوناته قد خدم المسلمين ودفع بهم إلى التأثير، وحينما تناولته الأقلام وفق مقاربة صراعية أنتج تخلفا في الأداء، وسقما في التعاطي مع الواقع والتاريخ. فحدث بذلك تشويه المجتمع وتاريخه ليتآكل من الداخل، لتتجسد النكسة التي نحن عليها الآن.

– الوعي بالتاريخ وكيفية تناوله وتقديمه، لا يجب أن نرمي بالقضايا الخلافية إلى العامة عبر ندوات المعروضة على شاشة التلفاز مثلا فيقع الافتتان، في حين أنّ الوعي لم يصل بعد إلى مداه الذي يجعل منهم يتقبلون الفكر الآخر، وبناء الوعي يقع على كاهل النخبة والسلطة. ولطالما اتحدت النخبة مع السلطة في

سبيل النهوض، فكانت النتيجة تظهر إيجابية على مستوى العامة، أما إذا انعدم الاتفاق وتصارع الطرفان فقد وقع العكس دوما.

– من المفيد إيجاد آليات لتحريك النخبة المهتمة بالتاريخ بقصد التكوين والتحفيز على الكتابة، وإنّ الترويج للمنتديات، والحرص على إنشاء المراكز والمخابر والفرق والتخصصات يمكن أن يقدم النتائج الطيبة في سبيل تحقيق المراد. وفي هذا الشأن لابد من التنويه بجهود عدد من الباحثين وهم يحاولون تقديم الوسائل الكفيلة بإنعاش البحث التاريخي ببلادنا، والدفع به نحو مزيد من التخصص والتعمق في البحوث لتكون مقالاتهم قوة طرح ومصدر وعي للتاريخ، ويظهر جهدهم من خلال تأسيس مجلات تُقدم أعدادا دوريا في مجال البحث التاريخي كدورية "**عصور جديد**" لعبد القادر بوباية بوهران، ومجلة "**المواقف**" بمعسكر ومجلة "**قضايا تاريخية**" لمزيان السعيدي، و"**دراسات وأبحاث**" لفشار بالجلفة ومجلة "**البحوث التاريخية**" التي يشرف عليها عبيد بالمسيلة، والتي عززت جهود الأستاذين عبد الله مقلاتي وعمر بوضربة من خلال مجلتيهما "**المجلة التاريخية الجزائرية**" و"**المعارف**" بالوادي و"**مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية**" بجامعة باتنة، وعدد لابأس به من المجلات التي تعمل دوريا على نشر مقالات ذات قيمة. هذا بالإضافة إلى منشورات تؤسسها ندوات وطنية متخصصة مثلما هو كائن بجامعة البليدة ومن خلال ندوة أساتذتها الموسومة بـ "**ندوة التاريخ والمعارف الأخرى – رؤية منهجية لخدمة التاريخ–**" (التعليق رقم 25).

9. مقتضيات البحث التاريخي الجديد

تقتضي مرحلة البحث التاريخي – لإعادة بناء الحوادث كما وقعت فعلا – الاستناد إلى المقاربة التفاعلية والتي تقتضي بدورها الاستناد إلى آليات ومعطيات لا يمكن إغفالها أو إهمالها، ويمكن حصرها كما يلي:

– ضرورة الاستفادة من العلوم والمعارف الأخرى والاندماج معها، وتكمن الاستفادة منها في ظاهرتين:

الأولى: الاستفادة من مناهج هذه العلوم، وكيف وصلت إلى وضع قواعد تثبت بها الحقائق التي لا تقبل نقاشا بعدها، مثلما ستستفيد هي الأخرى ممّا توفره الوثيقة والنص التاريخي من إشارات ومعلومات متنوعة، خدمة لتخصصها وللمعرفة عموما.

الثانية: الاستفادة من المفاهيم والمصطلحات التي تزخر بها هذه المعارف "**في علم الاجتماع، الفلسفة، العلوم الشرعية، علم النفس، الإحصاء...**" ومحاولة توظيفها في البحث التاريخي برصانة، ووفق معاني لغوية صريحة لا تقبل التحوير، بل تثري البحث التاريخي، وتزيده نفوذا وانتشارا بالتماهي مع الباقي من الفنون.

– ونتيجة هذا برزت لدينا تخصصات وموضوعات في الكتابة التاريخية، يتماهى فيها التاريخ مع العلوم الأخرى كالتاريخ والنوازل، والتاريخ والأدب، والتاريخ والفن، والتاريخ الفكري، والتاريخ الاجتماعي والاقتصادية، وتاريخ الذهنيات والمتخيل، وغيرها من المواضيع ذات العمق، ممّا يستوجب إيجاد آليات تستفيد من هذا الدمج، وتقدم رؤية جيدة للحادثة التاريخية، وتوظيفها توظيفا يخدم الحقيقة التاريخية ولا يزيفها.

– يجب الانتباه إلى مسألة السياقات فيما يتعلق بالحوادث ودراستها، والحرص على اعتبار السياق – الذي تأسست في ظروفه الحادثة وكتبت الوثيقة– كمعطى مهم عند تحليل وقراءة الوثيقة والحادثة، فإنّ شطط الكثير من الدراسات ونتائجها إنما يأتي بفعل عدم الأخذ بهذا العامل المهم في معرفة الحادثة.

10. معالم لا بد من رعايتها والانتباه إليها

في خضم البحث التاريخي تستلزم منا المهمة الأخذ بالاعتبار جملة من المحددات التي تفرز التوجه الأصيل والعلمي للكتابة التاريخية بالنظر إلى خلاصات التجارب، مع الاعتراف بأنّ جزءً من الباحثين لم ينضبط بهذه المحددات لعدة معطيات، في حين نجد التجربة التاريخية القائمة على الملاحظات المتكررة تكرس هذه المحددات وتجعلها كمسلمات لا ينبغي الحيدة عنها باعتبار تأثيرها وفاعليتها بالنسبة لتاريخ بلاد المغرب. ونذكر منها:

– قيمة البعد المغربي المشرقي في تاريخنا، وتكريس التواصل منذ القديم إلى زماننا. ذلك أن محور "**المشرق– المغرب**" يحضر في كل الأوقات يعزز بعضه البعض، ويُظهر طرفا المحور في تناغم تاريخي مستمر وواضح، عكس العلاقات جنوب– شمال بالنسبة لبلاد المغرب، هذا الأخير الذي يجسد على مدار التاريخ الصراع على الحوض المتوسط، وما ينتج عن ذلك. كان هذا منذ الحروب البونيقية إلى الحركة الاستعمارية إلى حاضرنا هذا.

– تأثير الدين في حياة أهل المغرب والجزائريين، هو معطى أساسي تسير به حياة الناس، وتقضى به حوائجهم، وتبنى عليه أفكارهم. إنّنا نسجل الحضور القوي والدائم للبعد الديني في جميع الأطوار التاريخية بالنسبة للجزائريين، سواء زمن الانتصار أو في فترات الانكسار. وعليه فإنّ تناول التاريخ بعيدا عن تحليل واعتبار التأثير الديني والمذهبي لحركة المجتمع يعد ضربا من الخبل، وتقليصا لعامل غائر في ذهنية وسلوك الساكنة وحركتهم التاريخية على كل المستويات. ولطالما كان الدين هو ملاذ المجتمع الجزائري عند كل أزماته وطيلة فترات نكساته.

– الموقف من بعض الشخصيات المفصلية في تاريخنا، ليس باعتبارها شخصيات بطولية مؤثرة، وإنّما تمثل الأنموذج الذي تقوم عليه مسارات الأجيال، حيث عملت عدّة دوائر تاريخية على ضرب الأنموذج فخربت عقول العامة والخاصة، وضربت الرمزيات في العمق، بهدف التشكيك في كل ما يجمع ويلتف حوله الناس، بغض النظر عن أنهم بشر يصيبون كما ينتكسون. لا نمجد تلك النماذج، ولكن الحتمية التاريخية تدفعنا إلى جعلهم في مستويات نستلهم منها التجارب الجميلة والمريرة (التعليق رقم 26) ولذا وجب أن نأخذ هذه الشخصيات في تحليلنا للتاريخ بعناية خاصة وفائقة، وفي أطر أكاديمية متمكنة ومسؤولة لأنّ تأثير هذه الشخصيات ممتد لدى طبقات العامة. ومن النماذج نذكر:

– شخصية عقبة الذي صاهر اللواتيين البربر وامتزج معهم دما وملاحما.

– وشخصية الأمير عبد القادر الذي أعاد بناء الدولة الجزائرية الحديثة.

- ابن أبي شنب العالم المحقق لتراث مفيد وقد كان مهملا.
- وشخصية ابن باديس الذي لاتزال تأثيراته منذ ما يناهز القرن من اقلاعه.
- وزعماء الحركة الوطنية والثورة الذين أسسوا للفعل السياسي الثوري.

ولا شك أنّ القارئ له من الرموز والشخصيات عبر حقب التاريخ ما يمكن أن يدعم به هذه المجموعة من الأسماء، وقد ذكرنا هؤلاء من باب المثال لا من زاوية الحصر.

خاتمة

أخيرا: هذه ملخصات جهود السابقين .... وطريق السائرين لتحقيق الغاية... وآمال المخلصين في الوصول إلى تجسيد مدرسة ذات أبعاد وأهداف، في خضم الصراع القائم على التاريخ وتوظيفه... ونعتقد جازمين بأنّ الأمة التي تعتني بالتاريخ هي أمة جديرة بالريادة والقيادة.

ولا يفوتنا أن ننوه بالنتائج الباهرة التي ما فتئ يحققها عدد من الباحثين الجادين في سبيل التمكين للمدرسة التاريخية ذات الرؤية الأصالية الممزوجة بالمناهج الحديثة لتقديم بديل يمكن بواسطته منافحة آراء الآخرين، وتطمين الباحثين السالكين مسلك البحث الأكاديمي القائم على الموضوعية، والهادف إلى فرض الشخصية الوطنية العميقة بالوسيلة العلمية المتاحة، رغم عدد من الصعوبات التي لاتزال تقف حجرة عثرة في سبيل تحقيق المرام، وبناء الشخصية الوطنية السليمة. وإنّ المناداة بضرورة الانتقال بالانتقال من البحث التاريخي السردي إلى طرح التاريخ الإشكالي بات مطلبا ملحا لعدد من الباحثين الأكاديميين في سبيل التعمق في الطرح، والواقعية في البحث، وتطبيق مناهج كفيلة ببيان الحقائق وكشف عمق الدقائق.

التعليقات:

1. **جمال قنان** : أستاذ جامعي ولد ببلدة قنزات شمال ولاية سطيف بتاريخ 12 أوت 1936م في وسط أسرة ميسورة الحال ومتعلمة التحق جمال قنان لأول مرة بمسجد سيدي عبد السلام القريب من منزل العائلة، وهناك حفظ قسطا وافرا من القرآن الكريم وبعض المتون الشرعية والمبادئ اللغوية سنة 1952م الالتحاق بمعهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، وبعد ثلاث سنوات من الدراسة قرر التنقل لجامع الزيتونة بتونس سنة 1955م رغم أن رغبته الأولى كانت تتمثل في الانتقال لجامع الازهر الشريف بمصر حسب ابن عمته الأستاذ الحسين لقدر، وهناك بتونس قرر الانخراط في الثورة التحريرية برتبة ضابط، وقبل ذلك كان جمال قنان قد التحق بصفوف حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية بزعامة مصالي الحاج. الالتحاق بجامعة القاهرة سنة 1958م لإكمال دراسته العليا، فحاز منها على شهادة ليسانس التاريخ عام 1963م، وبعد عودته للجزائر ونتيجة للاضطرابات السياسية قرر جمال قنان الالتحاق بجامعة السوربون بفرنسا لتحضير شهادة الدكتوراه في التاريخ سنة 1965م، والتي استغرقت قرابة خمس سنوات تبحر خلالها في أرشيفات فانسان وآكس آن بروفانس وغيرها من الأرشيفات الفرنسية والأوروبية، ونال في الأخير شهادة الدكتوراه في ماي 1970م. عين رئيسا لقسم التاريخ بها سنة 1971م ثم مديرا لمعهد العلوم الاجتماعية سنة 1979م، ولم يتقاعد الدكتور جمال قنان عن العمل إلا سنة 2018م عن عمر يناهز 82 سنة، وإلى جانب التدريس والإدارة بالجامعة تقلد الدكتور جمال قنان عضوية عديد المؤسسات والهيئات داخل وخارج الوطن حيث عين رئيسا للمجلس العلمي لمتحف المجاهد، وعضوا بالمجلس الاستشاري للمركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، وعضوا باتحاد المؤرخين الجزائريين والعرب. وقد أثرى المكتبة بعشرات الأعمال بين مؤلفات ومقالات متنوعة المواضيع والمجالات، فلم

يبق محصورا في تاريخ الجزائر بل تناول مواضيع تخص تاريخ بلاد المغرب وأوروبا، وقدر عدد أعماله المطبوعة حوالي 14 عنوان (صالح, بن سالم;، 2021، ص ص 8-31).

2.**الدكتور محمد العربي الزبيري:** ولد في الجزائر 1941 عمل موظفاً وشغل مناصب عدة في الجزائر حيث كان رئيساً لاتحاد الكتاب الجزائريين، وهو اليوم رئيس منتدى الفكر والثقافة بالجزائر، عضو جمعية الدراسات والبحوث. ومن مؤلفاته – :مقاومة الجنوب الجزائري للاحتلال الفرنسي – مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث – الثورة الجزائرية في عامها الأول – الثورة الجزائرية في عامها الثاني – الغزو الثقافي في الجزائر – المثقفون الجزائريون والثورة – ايديولوجية الثورة الجزائرية – الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر– حمدان بن عثمان خوجة رائد الكفاح السياسي –المرأة لحمدان بن عثمان خوجة– ترجمة– وغيرها ولا يزال يكافح لأجل المدرسة التاريخية الوطنية الأصيلة. (الزبيري م.، 2018، ص ص 8– 38).

3. **الاستاذ عبد المجيد شيخي:** شخصية جزائرية مهتمة بالأرشيف والذاكرة الوطنية، متخرج من كلية الحقوق، له مساهمات ومداخلات عبر وسائل الاعلام والندوات الوطنية، كلف مؤخرا بملف الذاكرة الوطنية من قبل رئاسة الجمهورية.

4. يقدم كل أساتذة جامعة المسلية وهران والبليدة وباتنة والوادي وسيدي بلعباس وقسنطينة وغرداية وتلمسان وغيرهم من أساتذة الوطن الأنموذج الواقعي لهذا المسعى بما يخدم الهدف والغاية.

5. الاتجاه القيمي في تناول التاريخ هو دور يحاول د. بولطيف تحقيقه لما يراه من عمق وشمولية في شرح الحادثة التاريخية، وقد كرس لذلك جهده ووقته، ووجه طلبته لأجل تحقيق هذه النظرة التاريخية بتأسيس منتديات وتأليف مذكرات يقوم عليها طلبة الماستر، ونرى بأن طرحه يحتاج إلى لفتة نظر، ووقفة معتبرة. ومساندة فاعلة.

6. يعتبر هؤلاء من المصادر الأولى للكتابة التاريخي بأنواعها في بلادنا منذ نشأة الدولة الرستمية في القرن 2 للهجرة 8 للميلاد، وقد قدمت لنا تفاصيل مهمة عن الدولة ورجالها وفئاتها ومساراتها، وخصوصا كتب التراجم التي قدمت القيمة العلمية والوجه الحضاري للدولة الرستمية. (الدرجيني، د.ت) (الربيع، 2009).

7. **أبو يعلى الزواوي:** هو السعيد بن محمد الشريف بن العربي بن يحيى بن الحاج، من قبيلة أيت سيدي الحاج مولود عام 1866 بقرية تاعروست بناحية عزازقة، تعلم على يد والده ومشايخ القرآن والعربية وعلم الكلام، ورحل في طلب العلم الى تونس ومصر والشام، اهتم بالصحافة، ونشط في جمعية العلماء، وصنف المؤلفات ومنها كتابه "**تاريخ زواوة**" و"**الإسلام الصحيح**" و"**جماعة المسلمين**" وكتب أخرى غير مطبوعة توفي في 8 رمضان 1371هـ/4 جوان 1952. (صافر ، أبو يعلي الزواوي شيخ الشباب وشاب الشيوخ، 2019) فتيحة صافر: **أبويعلى الزواوي شيخ الشباب وشاب الشيوخ**، مجلة العلوم الإنسانية، مج 8، ع2، ديسمبر 2019، جامعة أحمد ب بلة، وهران.

8. المؤرخون هم مبارك بن محمد الميلي، وعبد الرحمن الجيلالي، وأحمد توفيق المدني.

9. **مبارك بن محمد بن رابح بن علي الميلي الهلالي:** ولد عام 1898 بالميلية قرأ بالزيتونة بتونس، ثم عاد الى البلاد فمكث بقسنطينة ثم استقر بالأغواط يدرس ويؤلف من سنة 1927 إلى عام 1933 ثم استقر بميلة وساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وتوفي سنة 1945 راجع مقالات عدة في شخصه ومنها مقال محمد السعيد قاصري: مبارك الميلي ودوره في حركة الإصلاح العقدي بالجزائر من خلال رسالة الشرك ومظاهره؛ بلقاسم ميسوم: مبارك الميلي، **رجل الإصلاح ومؤرخ الجزائر**، وغيرهما من المقالات على مستوى منصة المقالات Asjp.

10. **أحمد توفيق بن محمد بن أحمد المدني القبي الغرناطي:** عالم ومؤرخ وصحفي ولد عام 1899 وتوفي سنة 1983 جزائري انتقلت أسرته إلى تونس مبكرا بعد ثورة المقراني1871 فولد بتونس ودرس بجامعها الزيتونة، مارس السياسة في تونس وأدخل السجن وطرد إلى الجزائر، وهو من مؤسسي الحزب الدستوري التونسي. راجع مقالات كل من محمد الصغير بن لعلام: **الأستاذ أحمد توفيق المدني الصحفي المؤرخ**؛ مولود عويمر: **مسألة التاريخ عند الأستاذ أحمد توفيق المدني**، وغيرهما من المقالات حول العلامة عبر منصة المقالات Asjp.

11. **أميل فيليكس غوتييه Emile Filix Gautier 1864-1940:** جغرافي فرنسي معروف اهتم بالتاريخ، كان أستاذا في مدغشقر ثم نقل إلى الجزائر ليستقر بها، ويؤلف بعد دراسته للجغرافيا والإنسان بالجزائر عدة مؤلفات. لقد اهتم بدراسة الانسان. والمجتمع الجزائري

في ممارساته وسلوكاته ودينه، مثلما تحدث عن جغرافية الجزائر وبالأخص الصحراء الجزائرية، وله فيهما مؤلفات ومنشورات وتقارير تحتاج على تحليل ودراسة معمقة.

12. يؤسس كتابه "**دور قبيلة كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية من تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري 11م**" رؤية خاصة وربما منفصلة عن المتداول في زمانه في التاريخ الوسيط.

13. وهو مصطلح ومرتبة أسداها في حقه أحد تلامذته المتأثرين به وهو د. محمد الأمين بلغيث كدلالة على مرتبته وقامته السامقة في البحث التاريخي.

14. أشار إلى هذا صراحة الدكتور سعيدوني عند تكريمه بوسام العالم الجزائري سنة 2021، وفي جلسة علمية خاصة جمعتنا مع ثلة قليلة من الباحثين حول مشروع يختص بتاريخ الجيش الجزائري.

15. المقصود هو المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثور أول نوفمبر 1954، ومقره بالعاصمة بالأبيار.

16. نعتقد أنّ العمل الذي يقدمه كل من د: طارق عزيز ساحد من جامعة الجزائر، وعزوق عبد الكريم، ونعيمة رزوق، وغيرهم كثيرون سيؤسس لتوجه رائد إذا اكتمل بناؤه واستمرت جهودهم.

17. لا تزال مؤلفات هؤلاء معتمدة وبشكل واسع لدى الباحثين من داخل البلاد وخارجها باعتبارها تعبر عن نظرة عميقة للمدرسة الوطنية التاريخية.

18. تجلى في هذه الفترة الصراع الفكري بين دعاة الادماج الذين مثلهم الدكاترة فرحات عباس ومحمد الصالح بن جلول وبن التهامي، الذين شكلوا فدرالية الجزائريين المسلمين في الثلاثينيات.

19. يجتهد كل من عبد العزيز فيلالي وعلاوة عمارة وبوبة مجاني في قسنطينة، ويجتهد الطاهر بونابي ولخضر بولطيف في المسيلة، ويجتهد بحاز والطاهر بن علي في غرداية، ويجتهد بوباية وبن معمر في وهران، ويجتهد يوسف مناصرية وطلبته في باتنة وقسنطينة، وغيرهم في دهاليز أقسام التاريخ لإعطاء التميز في الكتابة التاريخية وتكريس المدرسة الأمل في ذلك، ولا يقل عنهم شأنا في البليدة والمدية والبويرة ومعسكر وتيارت.

20. وهنا نُنبّه على أنّ الكتابة اليوم في التاريخ القديم لا تزال سليلة الأطروحة الكولونيالية رغم الجهد الذي يقدمه المخلصون للتاريخ، كما أن الكتابة في التاريخ الحديث تنقصها العناية بالمصادر غير المحلية والاطلاع على اللغات كالتركية العثمانية، في حين لا تزال الكتابة في التاريخ المعاصر تتكرر مواضيعها، ويسطر عليها الاجترار والتكرار أكثر من التعمق في مواضيع دقيقة، فلا نزال نتكلم عن تأثير الآخر في ثورتنا، ولا نزال نجتر أفكار المدرسة الفرنسية في تحليل قضايانا، ولا يزال توظيف التاريخ لمصالح ضيقة سياسية أو إيديولوجية أو مصلحية نفعية شخصية، كما لا تزال السرقات العلمية تفعل فعلتها في البحث لنيل مراتب والتخلص من أعباء على حساب الأهداف النبيلة هي المسيطرة على الوضع، مما يوجب الانتباه والمحاربة بكل جرأة.

21. هي صيحة ظهرت منذ الثمانينات من القرن الماضي، وبأشكال متعددة وممارسات شتى تجسدها، نادى بها البعض من شذاذ الآفاق سابقا، والمنضوية تحت الراية الكولونيالية سابقا، لكن التيار الحضاري ظل لهم بالمرصاد، فقاوم الصيحة ولا يزال.

22. لا يمكن غمط جهود كل من الأساتذة: عبد القادر بوباية، محمد الأمين بلغيث، مولود عويمر، عبد الله مقلاتي، عمر بوضربة، عبد القادر جمعة، عطاء الله فشار، لخضر بولطيف، محمد لحسن الزغيدي...وغيرهم من الباحثين الذين تنوعت نشاطاتهم، وتعدد مجهوداتهم في سبيل الارتقاء بالبحث العلمي، وإيصال المعلومة إلى العامة والخاصة.

23. نطرح هذا في خضم النقاش الدائر حول مسائل الأرشيف والذاكرة التي يطالب بها الجزائريون في ظل المساومات الفرنسية المستميتة.

24. أرجو أن تتخصص دراسات تاريخية في التنقيب عن تاريخ الأزقة والاحياء، فالحي وهو جزء من المدينة قد يكون تأثيره أكثر من المدينة والقرية، وكم مدينة لا تسجل لها حركة إلاّ من خلال حي رئيسي في جنباتها، كحي بلوزداد والقصبة وباب الوادي بالعاصمة، وحي الدويرات بالبليدة، وغيرها من أحياء بلادنا وحاراتها التي تميزت بمظاهر حضارية وفاعليات بشرية ما جعلها تؤثر في تاريخ البلد على مدار عقود. من خلال رجالات الحي ونسائه وعلمائه وأبطاله وشهدائه وسياسييه ورياضييه وفنانيه... وغيرهم من الطاقات المؤثرة في تاريخ الحي.

25. هي ندوة تأسست سنة 2018 بجامعة البليدة 2 وتقوم بعقد ندوة وملتقى في نفس العنوان سنويا وصد لها كتابان تحت عنوان "**التاريخ والديانة**" وكتاب "**التاريخ والأدب والفن**" وقريبا "**التاريخ والعدد والإحصاء**" وصدرت عن دار النشر الجامعي الجديد بالجزائر.

26. نعتقد أن لكل مجتمع له نماذجه التي رسمت أحداث بلادهم، وقد عملوا على تقديسها وتمجيدها، فالرئيس الفرنسي "**ديغول**" يعتبر من الشخصيات المتأخرة في تاريخها التي تلقى اعجابا وتمجيدا لا نظير له، على الرغم من أن عدد من المجازر الإنسانية قد وقت اثناء حكمه، فمجازر 8 ماي بالجزائر والتي خلفت أزيد من 45 ألفا من الضحايا كان هو المرسم لها، وسياسة التقتيل والتنكيل لإخماد الثورة الجزائرية بعد 1958 إلى 1962 كان هو المنظر لها، حينما استعملت الأسلحة الممنوعة في حق المدنيين الجزائريين العزل بالجبال برميهم بقنابل "**النابالم**"، والتجارب النووية الفرنسية في صحراء الجزائر التي كانت لها مفاسد جسيمة على الجزائريين العزل كانت من أولويات استراتيجيته، فضلا عن نشأة منظمة **O A S** أثناء حكمه وما فعلته بالجزائريين وهم على عتبات الاستفتاء والاستقلال.

قائمة المصادر والمراجع

1- الحاج صادوق، و نعيمة بوكرديمي. (1 ماي, 2022). "**الكتابات التاريخية في الجزائر ودورها في الحركة الوطنية 1900-1954**". مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، (1)، الصفحات 31-38.

2- الدرجيني. أحمد بن سعيد (2009). **طبقات المشايخ بالمغرب**. قسنطينة، الجزائر: مطبعة البعث.

3- حكيم بن الشيخ. (26 ديسمبر, 2016). "**الدكتور أبو القاسم سعد الله رائد المدرسة التاريخية الجزائرية وباعثها**". المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، 8(2)، الصفحات 61-72.

4- صالح بن سالم . (31 أوت , 2021). "**الدكتور الراحل جمال قنان... مسيرة مجاهد ومؤرخ**". جريدة البصائر الإلكترونية .http://elbassair.dz/15240/amp=1

5- علاوة وآخرون عمارة . (2013). **نصف قرن من البحث التاريخي بالجامعة الجزائرية 1962- 2012**. قسنطينة ، الجزائر : منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية .

6- فتيحة صافر. (ديسمبر, 2019). **أبو يعلى الزواوي، شيخ الشباب وشاب الشيوخ**. 8(2)، 52-42.

7- أبو الربيع الوسياني. (2009). **طبقات الوسياني** (الإصدار ط1). (محمد بوعصبانة، المترجمون) مسقط، عمان: وزارة التراث والثقافة.

8- محمد العربي الزبيري. (30 سبتمبر, 2018). "**في رحاب المدرسة التاريخية الوطنية**". المجلة التاريخية الجزائرية، 2(3)، الصفحات 8-38.